قصص

ظلٌّ مستلق تحت شجرة ليمون في فناء البيت

عائدٌ لا يعود

طائرٌ ـ لا عينين له ولا منقارَ ولا جناحين ـ هبطَ على البيت، حوّله الى كومة رماد. لم تكن هناكَ بذور على سطح البيت ولا ماء. مِن دون دعوة، هبط في غير موسم هجرة على العشّ الإسمنتيّ. تطاير الرماد والحجارة ككومة قشٍّ لسعتها الرياح الساخنة

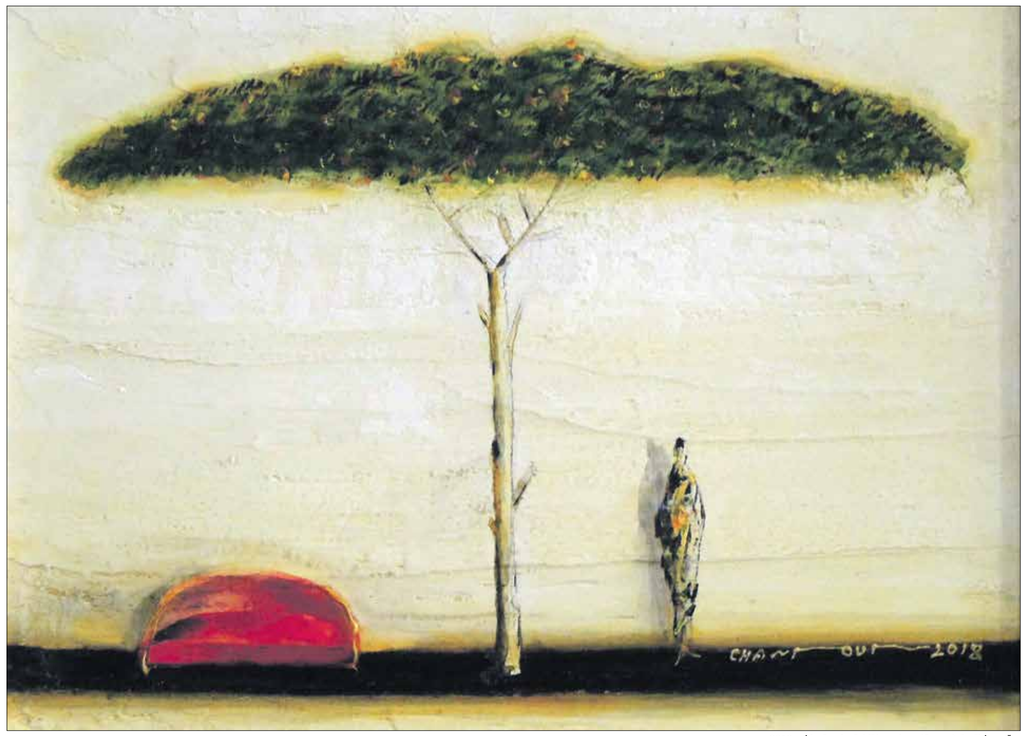
حقود شتوت (سورية)، مواد مختلفة على قماش، 2018

مصعب ابو توهة

بطاقة

شاعر وكاتب فلسطيني من مواليد غزّة عام 1992، يكتب باللّغتين العربية والانكليزية. اسّس عام 2017 «مكتبة ادوارد سعيد العامّة» في غزّة. نشر قصائده في مجلّات شعرية متخصّصة، وكان شاعرا زائرا في قسم الادب المقارن بـ«جامعة هارفارد» الاميركية بين عامَيْ 2019 و2020. يصدر ديوانه الاول باللغة الانكليزية عن دار نشر City Lights بسان فرنسيسكو، في نيسان/ ابريل المقبل، بعنوان «اشياء قد تجدها مختبّأةً في أذني».

مَن الذي نسي ظلّه؟

يبدو أن أحدهم نسي ظلّه في المقهى. لَمن هو يا تُرى؟ لا هو لطفل ولا لمسنّ. أغلب الظن انه لشابّ في العشرين. كتفاه عريضتان وصدره بارز ويداه جامدتان كأنما قُدّتا من صخر. يبدو أنه يمارس رياضة كمال الأجسام في النادي القريب. وهناك أيضاً ظلّ جريدة في يده. لا أعرف ما اسمها. ولكنّ رقم الصفحة هو الوحيد الظاهر عليها. سأبحث عن رقم البيت الذي يحمل رقم الصفحة.

تملأ السيّارات المطبقة الشوارع المحيطة. لا، ليست بطيئة، ولكنّ الشوارع مزدحمة وضيّقة. أصلُ البيت المقصود. أطرق الباب. دقّاتُ الساعة تدعوني للدخول. ظلالٌ كثيرة تكسو جدران البيت. إطارٌ خشبيّ بهتَ لونه. تلفازٌ يعمل بالأقمار الهوائي. تعلوه ساعة منبّه لا تعمل. حقيبةٌ جامعية على الكرسي هزّاز. ورواية بجانب وسادة على السرير. وبعض قصائد نيرودا مطبوعة على ورق حديثاً. أستطيع شمّ الحبر الطازج عندما أقترب أكثر. رائحة الغرفة متكدّسة بالعتمة، والهواءُ يرطّبه السكون.

قرب الباب، هناك حذاء، بنطال جينز، قميص، ملابس داخلية بفوح منها العرق. وهناك بابٌ خلفيّ للبيت غير مقفل، تدخل منه أشعّة الغروب قليلاً. أقف على العتبة الداخلية للباب. أفتحه ببطء.

صوت عصفور في الفناء. الهواء أيضاً ساكنٌ في الخارج.

شابٌّ يعيش وحده في هذا البيت القديم، متجرّدٌ من ملابسه، إلّا من ساعة يده الرقمية. يستلقي في حمّام سباحته الرمليّ في فناء البيت الخلفيّ تحت شجرة. تسقط حبة ليمون ناضجة في حوض الاستحمام، تقع نملة من أعلى فرع، تتبعها نملة أخرى، تسقط فوقها تماماً.

يغمض عينيه، يدير وجهه جانباً، وتحمرُّ وجنتاه بعد مشاهدة النملتين اللاخجولتين. سأقترب قليلاً.

أجزم أنني أراها الآن في عينيه. يبدو أنها هي تلك الفتاة التي رآها تمرّ خلف نافذة المقهى. أعتقد أنني رأيتها أنا أيضاً عند أوّل الشارع قبل وصولي المقهى. يبدو أن هذا الشاب رمى سهام عينيه تجاه الفتاة، تبعها، نسيَ ظلّه في المقهى، ربما لم يكمل لعبة الكلمات المتقاطعة، التي دائماً ما تُجاور إعلانات الوفيات والتهاني بالمواليد الجدّد. كان المغادرين هذا المسرح يتقاطعون مع القادمين. ليست «كان»، بل هو الحال بعينه. أردّ التحية عليه، لكنه لا يسمع. أرفع صوتي فيصطدم صوتي بالسقف المنخفض. أخرج إلى الفناء، أعاود التحية، لا يسمع.

لا يسمع.

أرمي بلحةً أخرى، فيقفز من مكانه، ويوقف تنفّس الماء بوضوء.

«أنا هنا.» أصرخ. لكنه لا يسمع.

ماذا؟ هل يعقل أنه أعمى، أو ربما قد غطّت صورة الفتاة عينيه فلا يرى سواها؟

أو ربما أنا الذي نسيَ نفسه في المقهى فلم يأتِ إلّا بظله إلى هذا البيت، وبقي جسدي وظلّ هذا الشاب يتحاوران ريثما يعود كلٌّ منّا إلى ما نسي؟

عائدٌ لا يعود
(تغييرٌ ضروري في السيناريو)

«في النهاية، أشكر لكم حُسنَ إصغائكم وتفاعلكم».

يقف الجمهور مصفّقاً بحفاوة. يغادر معظم الناس القاعة، أمّا البعض الآخر فيعاود الجلوس، يتفحّص هاتفه، يلملم أغراضه، يضع زجاجات العصير الفارغة في سلّة المهملات، وينصرف في حال سبيله.

إلّا هو، ظلّ واقفاً ويصفّق.

ينظر البعض إليه قبل أن يخرج من الباب. لا ينتبه. تقف طفلة على كرسيّ خلفه، ترتّت على كتفه، ينظر وراءه. كانت القاعة فارغة إلّا من كرسي هنا وهناك والنافذة الكبيرة المفتوحة. يبتسم ويحمرّ خدّاه. تبتسم الطفلة وتلحق بأبيها الذي ينتظرها عند الباب الجانبي. يُخرج هاتفه من جيبه. الساعة الآن الثالثة عصراً. يُرجع الهاتف إلى جيب بنطاله. عند الطاولة الأمامية، تضع الفتاة أوراق ملاحظاتها وكتاباً في حقيبتها الوردية. تهمّ بالخروج. يرفع سعيد قدمه المتجمّدة عن مكانها، يرتفع الغبار الصغير خلفها كأنما هو بخار الماء البارد.

تلتفت الفتاة إلى الصوت القريب البعيد. تبتسم وتخفض رأسها.

على بعد بضع أقدام.

خمس أقدام، قدمين.

لا يوجد أحدٌ في القاعة سواهما.

ببطء شديد، يفكّ سحّاب سترته السوداء المرقّطة بالأبيض. تتورّد وجنتاه.

بينما هي بارتباك حذر تحلّ زرّاً من سترتها البيضاء، ثم زرّين، ثم ثلاثة. تتوقّف.

يُخرج سعيد قلماً أزرق من جيب سترته الداخلي.

تُخرج روان هاتفها الذي يهتزّ مع الرنين. تتعرّق أصابعها، يلتمع طلاء أصابعها الزهري في نظّارات سعيد. يغمض عينيه، ينزل رأسه، يفتح عينيه على حذاء روان الأسود اللامع ثم إلى صندله الذي يعانقه غبار شارعهم الرملي كلّ مرة.

يقدّم القلم إلى روان ويُخرج كتابها الجديد من حقيبته البلاستيكية.

ترد روان على الهاتف.

تصمت، تتّسع عيناها، تحزّ قدمها للوراء، تتعرّق، يذوب بعض الخُمرة البنّية الخفيفة من على شفتيها، تبلّل دمعةٌ بعض الكحل على عينيها العسليّتين.

تغلق خطّ الهاتف. تنتبه إلى سعيد الواجم أمامها. يتردّد في سؤالها عن كلّ هذه الانفعالات الصامتة على وجهها وقدميها. فاجئ نفسه بأن يقدّم الرواية والقلم لروان لتوقّع عليها.

تنسحب روان إلى الوراء، وبصوت خفيض تكاد هي تسمعه.

«لا يوجد أحدٌ في القاعة سواهما. أبي الذي هو بطل روايتي، وجدوه ميّتاً في نهر».

لا يصدّق سعيد ما تقوله روان.

«لقد وجدوا جثّته في نهر السين بفرنسا، جيوبه مملوءة بالحجارة».

«لكنّ أباكِ لم يمت. رجع إلى الوطن في الرواية، أليس كذلك؟».

«وهل نحن في رواية؟».

«هل أنت متأكّدة أن أباك قد غرق في النهر وجيوبه مملوءة بالحجارة؟ ربّما المتّصل كان يخبرك عن فيرجينيا وولف». «أبي ليس أنثى ونهر السين ليس في إنكلترا».

تحتّ روان الخطا، تغلق حقيبتها وتشدّ أزرار سترتها.

قبل أن تصل الباب، يصرخ سعيد:

«إذاً، غيّري عنوان الرواية إلى «عائدٌ لا يعود». غيّري السيناريو في النهاية».

«وهل أنا أكتب الأدب حتى أنقل الواقع؟ لست صحافية».

تُغلق روان الباب وراءها، كأنّه الصفحة الأخيرة في روايتها، ويبقى سعيد واجماً كدُمية تقف على المسرح تنتظر مَن يحرك خيوطها من تحت الطاولة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مفكرة المترجم

مع الانفتاح على الآخرين واكتشاف عوالمهم

زينب محمد عبد الحميد

تقف هذه الزاوية مع مترجمين عرب في مشاغلهم الترجمية وأحوال الترجمة إلى اللغة العربية اليوم

القاهرة ـ **العربي الجديد**

■ كيف بدأت حكايتك مع الترجمة؟

كانت علاقتي بالترجمة سيّئة للغاية طوال فترة دراستي في قسم اللغة العربية، حيث كانت إحدى المواد الدراسية التي لم أتقبّل الطريقة التي دُرّسناها بها على الإطلاق، ثم قرّرت خوض معترك الدراسة مرةً أخرى، فالتحقت بكلّية الآداب، قسم الترجمة الإنكليزية، لتتغيّر فكرتي عنها، ومن ثمّ فكّرت بالالتحاق بهذا المجال.

■ ما هي آخر الترجمات التي نشرتها، وماذا تترجمين الآن؟

الترجمة الكاملة لرواية «ديفيد كوبرفيلد» لتشارلز ديكنز هي آخر ترجماتي، وقد صدرت عن «دار آفاق» هذا العام.

أعمل هذه الأيام على إتمام رسالتي لنيل درجة الدكتوراه في مجال الأدب الحديث من قسم اللغة العربية وآدابها في «جامعة القاهرة».

■ ما هي، برأيك، أبرز العقبات في وجه المترجم العربي؟

يواجه المترجم تحدّيات دائمة تدفعه إلى التطوّر والبحث والتجديد، وأقصد بالتحدّيات ما يتعلّق بعلاقة المترجم بالنص. أمّا العقبات، فتنشأ غالباً في دائرة النشر بما فيها من إجراءات: بداية من حقوق الترجمة، إن وُجدتْ، مروراً بأجر المترجم وتوزيع الكتاب وما إلى ذلك، لكنّها دائرة أرفض فيها تبادل الاتّهام، خصوصاً في وقت يشهد فيه العالم محاولة لاسترداد توازنه.

■ هناك قول بأنّ المترجم العربي لا يعترف بدور المحرّر، هل ثمّة مَن يحرّر ترجماتك بعد الانتهاء، منها؟

لم ألجأ إلى التحرير إلى الآن، لكنّني أفدت أيّما إفادة من التعامل المباشر مع المصحّحة اللغوية لترجمتي الأخيرة، وأحبّ هنا أن أوجه إلى غادة أحمد كلّ الشكر والعرفان، إذ تفيدني نصائحها في تطوير أسلوبي. لكنّني لا أنكر أهمّية المحرّر بوجه عام لمَن يحتاجه، بل أرى في الدور الذي يلعبه أهمّية لم نزل نغفلها حتى الآن.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، لا سيّما في مسألة اختيار العناوين المترجمة؟

كنت سعيدة الحظّ في معظم تعاملاتي مع الناشرين، وإن لم تخلُ مسيرتي القصيرة للغاية من مشكلات أربكتني، لا أحبذ التطرّق إليها.

■ هل هناك اعتبارات سياسية لاختيارك الأعمال التي تترجمينها، وإلى أيّ درجة تتوقّفين عند الطرح السياسي للمادة المترجمة أو لمواقف الكاتب السياسية؟

أحسب أنّ تخصيص الموقف السياسي ليس بالتخصيص الدقيق، ربما الأدقّ التعبير بالموقف الفكري، إذ إنّ الأفكار سياسة وفلسفة وسلوك.

قد يختار المترجم ترجمة أحد الأعمال المهمّة من دون أن يوافق على أفكار كاتبها تماماً، لكنّه يلعب دوره ببراعة ويحرص على إيضاح الآخر وإظهاره وإن لم يوافقه.

> المترجم أكثر القرّاء غوصاً في العلاقة التي تنشأ بينه وبين الكاتب

■ كيف هي علاقتك مع الكاتب الذي تترجمين له؟

تمرّ علاقتي بالكتاب الذي أترجمه في عدّة مراحل متداخلة دون ترابّت، وأحسب أن المترجم أكثر القرّاء غوصاً في العلاقة التي تنشأ بينه وبين الكاتب. إذ أتأثّر وأتعاطف مع الشخصيات، تستوقفني بعض التعبيرات والجمل والمواقف، وأستغرب أحياناً من إسهاب الكاتب، وأتمنى أحياناً أخرى لو أطال في هذا الموقف أو ذاك.

إنها انفعالات قارئ لكنّها أكثر عمقاً وأشدّ مجادلة، وأحرص على اتّخاذ هيئة الحياد.

وبصورة خاصّة، لم أواجه إلى الآن ما قد أعتبره مقلقاً أو غير مطروح في الساحة الثقافية لأواجه به أيّ مشكلات على مستوى التوجّهات السياسية.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

زينب محمد عبد الحميد

بطاقة

ناقدة ومترجمة مصرية. نقلت إلى العربية أعمالاً مثل «قصّة الولد الصغير الشقيّ» لمارك توين (2016)، و«جوزيف فوشيه: سيرة سياسي» (2020) و«معجزات الحياة وقصص أخرى» (2021) وكلاهما لستيفان زفايغ، و«ديفيد كوبرفيلد» لتشارلز ديكنز (2022)، ولها في التأليف: «التصوّف في الرواية المصرية المعاصرة» (2018) و«سليمان العطّار ناقداً ومؤرخاً للأدب وميدعاً» (مؤلّف جماعي، 2021). وروايتا «في مقام العشق» (2013) و«العالم على جسدي» (2014)، وكلاهما بالاشتراك مع الكاتب يوسف نبيل. نالت جائزة «نجيب محفوظ» للعمل النقدي في دورتها الثالثة (2017) عن بحثها «تصوف الرواية بين معجم الغيطاني وجدل محفوظ».

متابعة

القطع الأثرية المسترجعة معرضٌ أم استعراض؟

زيارة للتراث المنهوب

بعنوان «تراثنا ثروة لا تقدّر بثمن»، يقدّم معرضٌ في تونس العاصمة 374 قطعة أثرية ممّا اعيد إلى البلد من متاحف العالم او ممّا أُحبط تهريبُه

تونس ـ **ليلى بن صالح**

من اعمال تجهيز المعرض في «مدينة الثقافة» بتونس العاصمة

تكون المتاحف هادئة في العادة، يكاد يتوقّف الزمن فيها ولا يتكلّم أحد داخلها إلّا همساً. لكنّ في 2018، ولَجَتْ العواصف الكثير من متاحف العالم، الشمالية منها تحديداً! وقتها طالبت دولٌ - أفريقية بالأساس مثل بنين والسنغال - بإعادة التُحف واللقى الأثرية التي تعود إليها قبل أن تنهبها أيدي المستعمرين تحت غطاء البعثات العلمية أو تلبية رغبات هواة تجميع الآثار والتعبيرات الثقافية للشعوب غير الأوروبية، وكانت تسمّى في وقتٍ من الأوقات بـ«الشعوب البدائية» أو «غير المتحضّرة».

خلال تلك «العاصفة»، لم يُسمع صوتٌ جاهر للبلدان العربية في حين أنها من أكثر مناطق العالم تضرّراً من نهب الآثار، وحكايات السرقة من العراق إلى المغرب العربي في القرن التاسع عشر مبذولةٌ في الروايات والكتب التاريخية، تماماً مثلما هي اليوم قصص تهريب الآثار في نشرات الأنباء وتقارير المنظّمات الدولية.

ورغم الصمت العربي في الضغط على كُبريات المؤسّسات المتحفيّة في الغرب، فإن المؤسّسات الرسمية في معظم البلدان العربية قد بدأت في التقاط هذا المدّ العالمي، ليس بتطوير خطابها الذي يُدين السرقات الاستعمارية، بل من خلال الإعلان عن كلّ عملية استرجاع، وتحويل بعضها إلى حدث إعلامي، في وقت قد تكون هذه الاسترجاعات ناتجةً عن سياسة المؤسّسات المتحفية الأجنبية وليست حصيلة انتصارات لحملات ضغط.

في «مدينة الثقافة» بتونس العاصمة، يقام منذ يوم الجمعة، 18 شباط/ فبراير الجاري، معرضٌ بعنوان «تراثنا ثروة لا تقدّر بثمن»، يضمّ بحسب منظّميه («المعهد الوطني للتراث» و«وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية»، وهما مؤسّستان تابعتان لوزارة الثقافة) عدداً من القطع الأثرية المسترجعة والمحجوزة، أي التي جرى إنقاذها من عمليات التهريب.

يضمّ المعرض، الذي يستمر حتى السادس من الشهر المقبل، 374 قطعة أثرية، يُشير المنظّمون إلى أنه قد جرى انتقاؤها من جملة أربعين ألف قطعة تمّ استرجاعها أو حجزها في إطار عمل «المعهد الوطني للتراث» بين سنتَيْ 2012 و2019.

تعود هذه القطع إلى مراحل تاريخية متنوّعة، عددٌ منها يعود إلى الفترة البونية؛ المرحلة التي يتقاطع فيها الحضور الفينيقي والروماني في تونس، وأبرز تجلّياتها الحروب الطاحنة بين قرطاج وروما، وصولاً إلى المرحلة الإسلامية بدءاً من القرن السابع ميلادي، ومختلف السلطنات التي حكمت البلاد من الإمارة الأغلبية في العصر العبّاسي إلى السلالات التي حكمت تحت رعاية العثمانيين.

لكنّ تقسيم المعرض لم يقم على أساس التحقيب التاريخي، بل ضمن ثيمات أربع هي: الحياة اليومية، والتحف الفنية، والمنحوتات والعناصر المعمارية والزخرفية، والمعتقدات والأديان. تقسيمٌ يُظهر اجتهاداً لا نراه في عنوان المعرض الذي يبدو ككليشيه ممّا يُلقَن في المدارس، ولا نراه قبل ذلك في جهود استرجاع القطع المنهوبة والكثير من الأرشيف التونسي، خصوصاً في فرنسا...

> استفادة محدودة لمعظم البلدان العربية من حركة استرجاع الآثار عالمياً

فعاليات

مسيرة الخطّ العربي عنوان محاضرة يقدّمها الباحث الجزائري **خالد الخالدي** عن بُعد، عند الخامسة من عصر غد بتوقيت غرينتش، بتنظيم «المركز الديمقراطي العربي» (برلين) و«مخبر اللهجات ومعالجة الكلام» (وهران). يُعقّب على المحاضرة الباحثون: ناجية سليمان، وكريم عايش، وسعاد بسناسي، واحمد بوهكو.

عن بُعد، يحاضر الباحث التونسي **محمد بن ساسي** يوم الجمعة المقبل، 25 شباط/ فبراير الجاري، في ندوة تنظّمها «مؤسسة البحث في الفلسفة والعلوم في السياقات الإسلامية» التابعة لجامعة القرويين في فاس، وذلك بداية من السابعة مساء بتوقيت المغرب. يعود بن ساسي (الصورة) في هذه المحاضرة الى ابرز الإشكاليات التي تناولها كتابه الاخير **الشكوك على ارسطوطاليس**.

حتى 25 من الشهر الجاري، يتواصل في «قصر خير الدين» في تونس العاصمة معرض **ايام زمان** للتشكيلي التونسي **عز الدين البراري**، وفيه يلقي الضوء على مشاهد عديدة من الحياة اليومية كثير منها قد باد خلال العقود الاخيرة، مثل المهن الحرفية والالعاب واشكال الاحتفال بالمناسبات الخاصة والاعياد الدينية.

بداية من السابعة من مساء غد، تحتضن «مكتبة مونتولير» في باريس، حلقة نقاش مع المخرج الهايتي **راوول بيك** الذي يقدّم كتابه **إبادة جميع المتوحّشين** وهو عمل يسائل فيه الكتابة التاريخية، وفي ذلك يتقاطع مع مشروعه السينمائي الذي يقوم على تقديم قراءات في تاريخ الاستعمار والعبودية والعنصرية.